Al-Tarikh Va Al-Hazarah Al-Islamiya
Royato Mu'asirah
ISSN: 2783-5154
Islamic Sciences and culture Academy
Scientific-Specialized Bi-Annual journal
Vol. 4 • No. 1 • Winter & Spring • 2024

The Significance of Rings in the Sirah of the Two Imams Al-'Askariyyīn

Hamidreza Motahari [1] Leila Sharifi[2]

Received: 2023/07/08 Accepted: 2023/12/05

Abstract

Rings have held a significant place in human life, and they were of particular importance in the sirah (lifestyle) of the Imams of the Shia, especially the two Imams Al- 'Askariyyīn (the two Shia Imams, Imam Hasan al-'Askari and his father, Imam Ali al-Hadi). Their use was emphasized and recommended. This research aims to deal with the question of what significance, role, and function rings held in the sirah of these two Imams. The hypothesis proposed is that the Imams Al-'Askariyyīn, while recommending the wearing of rings and detailing how they should be worn, used them for sealing, blessings, and adornment. The material of the rings, the type of gemstone, and the inscriptions on the stone were points of focus in the sirah of the Al-'Askariyyīn, and they provided specific recommendations regarding them. This study, based on historical sources and early reports, seeks to clarify the importance of rings in the lives of these two Imams using a historical-descriptive and analytical method. One of the key findings

1. Associate Professor, Islamic Sciences and Culture Academy, Qom, Iran. h.motahari@isca.ac.ir.
2. M.A in History of Islam, Masoumiyeh Institute, and Level 4 Student, Al-Zahra Society, Qom, Iran (corresponding author). L.sharifi.1395@gmail.com.

* Motahari, H.; Sharifi, L. (2024). The Significance of Rings in the Sirah of the Two Imams Al-'Askariyyīn. *Journal of Al-Tarikh va Al-Hadarah al-Islamiyah; Ruyat al-Mu'asirah, 4*(7), pp. 114-143. https://doi.org/10.22081/ihc.2024.70249.1064

of this research is the meaningful relationship between the inscriptions on their rings and the political, social, and cultural conditions of their time. Additionally, their emphasis on using this Islamic adornment as a recommended practice, along with its merits and virtues, demonstrates the high status of rings in their conduct.

Keywords
Ring, Gemstone Inscription, Ring Function.

التاريخ والحضارة الإسلامية
رؤية معاصرة
ISSN: ٢٧٨٣-٥١٥٤
مجلة علمية نصف سنوية
السنة ٤ ● العدد ١ ● شتاء وربيع ● ١٤٤٦ هـ

مكانة الخاتم في سيرة الإمامين العسكريين عليهما السلام

حميدرضا مطهري [١]　　ليلا شريفي [٢]

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠٧/٠٨　　تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١٢/٠٥

الملخّص

يمتلك الخاتم مكانة خاصّة في حياة الإنسان، وقد حظيت بأهمية بالغة في سيرة أئمة الشيعة، لا سيّما الإمامين العسكريين عليهما السلام، وقد أوصوا باستعماله وأكّدوا عليه. تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال التالي: ما هي أهمية الخاتم ومكانته ووظيفته في سيرة الإمامين العسكريين عليهما السلام؟ في الإجابة عليه، تطرح هذه الدراسة فرضية مفادها أنّ الإمامين العسكريين عليهما السلام بالإضافة إلى توصيتهما بلبس الخاتم وكيفية ذلك كانا يستخدمان الخاتم نكتم أو للتبرك أو للزينة. كان نوع الخاتم وفصّه والنقش المحفور على الفصّ من النقاط التي حظيت بالاهتمام في سيرة العسكريين عليهما السلام وتمّت التوصية بها. تهدف هذه المقالة إلى تبيين مكانة الخاتم في سيرة العسكريين عليهما السلام وذلك بالاعتماد على المصادر والتقارير التاريخية القديمة وباستخدام المنهج التاريخي والوصفي التحليلي. ومن أهمّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة هي العلاقة المعنوية بين نقش خاتم العسكريين عليهما السلام وشخصيتهما والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية

١. أستاذ مشارك في المعهد العالى للعلوم والثقافة الإسلامية　h.motahari@isca.ac.ir
٢. خرّيجة الماجستير في تاريخ الإسلام من معهد المعصومية عليها السلام وباحثة في المستوى الرابع بجامعة الزهراء عليها السلام (الكاتبة المسؤولة).　L.sharifi.1395.gmail@.com

* مطهّري، حميد رضا؛ شريفي، ليلا. (٢٠٢٤م). مكانة الخاتم في سيرة الإمامين العسكريين عليهما السلام. التاريخ والحضارة الإسلامية، رؤية معاصرة، نصف سنوية علمية، ٤(٧)، صص ١١٤-١٤٣.
https://doi.org/10.22081/ihc.2024.70249.1064

في عصرهما وتأكيدهما على استخدام هذه الزينة الإسلامية كأمر مستحب، وتبيين آثارها وفضائلها، ممّا يدلّ على مكانة الخاتم السامية.

الكلمات المفتاحية

الختم، الخاتم، نقش الخاتم (الفصّ)، وظيفة الخاتم.

المقدمة

كان الخاتم كأداة زينة ومستعملة محل اهتمام البشر عبر التاريخ، وقد حظي بمكانة خاصة في العصر الإسلامي وسيرة أئمة الشيعة، لا سيّما الإمامين العسكريين عليهما السلام. وقد وردت روايات عنهم تؤكّد فضيلته حتى اعتبروا ارتداءه من علامات المؤمن (المفيد، ١٤١٣ق «ب»، ص ٥٣). ونسعي في هذه الدراسة إلى بيان خصائص الخاتم، فضائله، آدابه، أحكامه ونوع الفصّ والنقش المحفور عليه في سيرة الإمامين العسكريين عليهما السلام، ودراسة العلاقة بين النقوش المحفورة على الخاتم وشخصية الإمامين العظيمين وأحوال وظروف عصرهما. فقد كان الإمامان العسكريّان عليهما السلام يحفران على خاتمهما نقوشًا خاصّة تعكس شخصيتهما وظروف عصرهما، وقد اتّخذت هذه النقوش في بعض الأحيان طابعًا احتجاجيًا وانتقاديًا ضدّ الحكومة وظروف ذلك الزمان. وبالنظر إلى واقع المجتمع واستخدامات الخاتم في عصرنا الحاضر، فإنّ بيان تطوّر وظيفته وأنماط استخدامه في سيرة المعصومين يكتسي أهمية بالغة، ليكون قدوة للمجتمع.

الدراسات السابقة

قد أجريت العديد من الأبحاث حول الخاتم ومكانته والفصّ والنقش المحفور عليه، ومن بين هذه الأبحاث يمكن الإشارة إلى ما يلي:

كتاب نقش الخواتم لدى الأئمة للسيد جعفر مرتضى العاملي، والذي يتناول دراسة نقش خواتم المعصومين عليهم السلام، وخاصة الإمام رضا عليه السلام. في هذا الكتاب، يتمّ توضيح النقوش الشهيرة لخاتم المعصومين عليهم السلام باختصار، مع مراعاة الظروف والأوضاع السائدة، وكما يشير المؤلف نفسه، فإنّ البحث الأساسي يدور حول الإمام رضا عليه السلام. كما يورد كتاب انگشتر زينتي إسلامي لعلي أكبر رنجبران، العديد من الروايات حول الخاتم، إلّا أنّه يفتقر إلى التوضيح والتحليل.

وهناك مقالة معنونة بـ «از انگشتري تا مهر» لمحمد طه الولي، والتي تناقش تطوّر الخاتم ونقشه منذ ما قبل الإسلام، وتتناول دور الخاتم لدى الأئمة والخلفاء المسلمين بشكل مَسرَد وتشير إلى نقش خاتم النبي صلى الله عليه وآله مع الاختلاف في الأقوال.

كما تناول السيد أبو القاسم الحسيني في مقاله «تحليل جهت نماي ذكر در آرايه انگشتر در سيره معصومين عليهم السلام» الجانب الفني والنقش المحفور على فصّ الخاتم، وربطه بالشخصية الإلهية للأئمة، ولكنّه لم يتطرّق إلى الاختلاف في الأقوال والعلاقة بين نقش الخاتم وظروف عصر المعصوم.

لذلك، لم يتمّ العثور على عمل مستقلّ وتحليلي حول الخاتم ومكانته لدى الأئمة، وخاصّة العسكريين عليهما السلام.

١. المفاهيم

الخاتم: هو حلقة من ذهب أو فضّة أو فلز آخر أو من الأحجار الكريمة توضع في الإصبع، وتُستخدم عادة للزينة. وعلى الرغم من ذلك، في بعض الأحيان تستخدم للختم أيضًا (دهخدا، ١٣٧٧ش، ج١، ص ٢٦٨).

والخاتم مشتق من الجذر (خ ت م)، وهو اسم مفعول، ومفرد كلمة خواتيم، ويعني في اللغة: «الوصول إلى نهاية الشيء» (ابن فارس، ١٤٠٤ق، ج٢، ص ٢٤٥). وفي الاصطلاح: «حلقة ذات فَصّ أو بدون فَصّ» (الطريحي، ١٣٧٥ش، ص ٥٣). وفي الواقع، هو نفس الخاتم باللغة الفارسية. وقد سُمّي الخاتم بهذا الاسم لأنّه يستخدم لختم الرسائل (قرشي بنايي، ١٣٧١ش، ج٢، ص ٢٦٦). ولأنّه يُختم به بعد نهاية شيء ما، أُطلق عليه اسم الخاتم (ابن فارس، ١٤٠٤ق، ج٢، ص ٢٤٥). وفي الروايات أيضًا يُذكر الخاتم بنفس المعنى. والمراد بالخاتم في هذه الدراسة هو الخاتم نفسه.

والفَصّ: هو الجوهرة والحجر الكريم الذي يوضع على الخاتم، أو علامة الملك

والسلطان، وهو نفس خاتم السلطان والملك (دهخدا، ١٣٧٧ش، ج٢، ص ٣٠٣٨). ويسمّى في اللغة العربية «الفصّ» (الحسيني الزبيدي، ١٤١٤ق، ج٩، ص ٣٢٣). والمقصود به في هذه الدراسة هو نفس الجوهرة والحجر الكريم الذي يُوضع على الخاتم.

٢. وظيفة الخاتم في سيرة الإمامين العسكريين عليهما السلام

٢-١. التبرك

كان الناس، ولا سيّما الشيعة، بسبب إيمانهم القلبي وحبّهم للمعصومين، يسعون دائماً للتبرك بوجودهم المبارك. وقد بلغ اهتمامهم بهذا الأمر مبلغًا جعلهم يتبركون بملابس الأئمة والأشياء المتعلقة بهم. واحدة من الأشياء التي لاقت اهتماماً كبيراً هي خاتم الأئمة المعصومين، حيث يدلّ التبرك به على مكانته العالية. وفي سيرة الإمام الهادي عليه السلام نجد أنّ أبا محمد الطبري طلب من الإمام الهادي عليه السلام أن يعطيه خاتماً من عنده، فأمر الإمام خادمه أبا نصر بأن يفعل ذلك وهو قام بتنفيذ أمر الإمام (الإربلي، ١٤٣٣ق، ج٢، ص ٩٠٢). ومثال آخر لذلك في زمن الإمام العسكري عليه السلام، حيث طلب أبو هاشم من الإمام أن يعطيه خاتماً للتبرك، فأعطاه الإمام خاتمًا (الطبرسي، ١٤١٧ق، ج٢، ص ١٤٤).

٢-٢. الزينة (الحلية)

يُعَدُّ الخاتم نوعًا من الزينة والجمال، وقد استعمله الناس، لا سيّما النساء، على مرّ التاريخ. وكانت النساء في عهد النبي صلى الله عليه وآله يتزينّ به (الواقدي، ١٤٠٩ق، ج٣، ص ٩٩١؛ ابن سعد، ١٤١٨ق، ج٨، ص ٤). ولمّا كانت هذه الحلية تُلبس في اليد، واليد ظاهرة للعيان، فقد تجذب الانتباه أكثر من غيرها من الحلِى. ولذلك، نجد الكثير من التوصيات من المعصومين حول كيفية التزيّن بالخاتم، مثل: طريقة ارتدائه في الإصبع، وحرمة الذهب على الرجال، أو التأكيد على استخدام الخاتم أو الفَصّ

من جنس خاص يدلّ على مكانته وأهميته. فما أحسن أن نتّبع أوامرهم في التزيّن به لنيل رضا الله تعالى. وعلى الرغم من أنّ صاحب «مواهب الدنيا» يقول: إنّ بعض العلماء يكرهون لبس الخاتم للزينة (القسطلاني، ١٤٢٥ق، ج٢، ص ٢٠٢). إلّا أنّنا لم نجد دليلًا على ذلك، بل يمكننا إثبات استحبابه كزينة استنادًا إلى آيات القرآن، حيث يقول الله تعالى: ﴿...خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ (الأعراف، ٣١). أحد تفاسير هذه الآية هو التحلّي بالزينة الظاهرة التي يوافق عليها الإسلام. والخاتم كزينة ظاهرة أمر مقبول، لأنّ الروايات تؤكّد على أهميته. ومن ناحية أخرى، فإنّ هذا الأمر الإلهي في هذه الآية يدلّ على استحسان التزيّن واستحبابه، وبالتالي فإنّ لبس الخاتم، خاصة الخاتم الذي أوصى به المعصوم، ليس مكروهًا بل مستحبًا.

٢-٣. الختم

لمّا كان الخاتم يُعدّ من الأدوات الاتصالية ويدلّ على حكم الفرد فإنّ هذه الوظيفة تبيّن مكانته وأهميته. وأحد أهمّ وأكثر استخدامات الخاتم في سيرة المعصومين عليهم السلام هو استخدامه نكتم وخاتم فإنّهم كانوا يستخدمون النقش المحفور على خواتمهم نكتم لختم الرسائل والمعاهدات والمكاتبات مع أصحابهم، وإضفاء الصفة الرسمية عليها. وفي الواقع، كان ختم الرسالة يدلّ على تعظيم وتقدير المتلقّي واحترامه، بينما كان عدم ختمها يعتبر إهانة له (حميدالله، ١٣٧٧ش، ص ٣٩). ونرى في زمان الإمام الهادي عليه السلام في الرسالة التي كتبها إلى بشر بن سليمان أنّ الرسالة كانت مكتوبة بالخط واللغة الرومية وختمها الإمام بخاتمه وكلّفه بشراء الأَمَة (النوري ١٣٨٤ق، ج١، ص ٥٥؛ الأمين العاملي، ١٤٠٣ق، ج٢، ص ٤٥؛ موسوي سبزواري، ١٤٢٦ق، ص ٥٣٧). وفي سيرة الامام العسكري عليه السلام نجد أيضًا أنّه ختم رسالة ابن أمّ غانم بخاتمه الذي كان في إصبعه (المسعودي، ١٤١٧ق، ص ٢٤٨) وهناك نقطة يجب

الانتباه إليها وهي أنّ البعض يقولون: إنّ خاتم الإمام وختمه كانا منفصلين ولكننا نجد أدلة تشير إلى أنّهما كانا واحدًا كما ذكرنا هنا، وهم لم يذكروا شيئًا عن نقش الخاتم فما يتّضح هو أنّ الأئمةعليهم السلام كانوا يستخدمون خاتمهم والنقش المحفور على فَصّه وحَجره نختم وخاتم.

٢-٤. التوصية بالتختّم في اليد اليمنى:

من المصادر التاريخية والحديثية يتّضح أنّ المعصومين كانوا عادةً يضعون خواتمهم في اليد اليمنى. كان النبيصلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام وصحابته يضعون الخاتم في اليد اليمنى (النباطي، ١٣٨٤ق، ج٣، ص ٢٠٦). واتّبع الأئمة هذا النهج. قال النبيصلى الله عليه وآله في وصاياه لعليعليه السلام: «تختّم في اليد اليمنى، فهذا فضل من الله للمقرّبين» (سپهر، ١٣٨٠ش، ج٤، ص ٢١٣٨). واعتبر عليعليه السلام على منبر الكوفة لبس الخاتم في يده اليمنى فضيلة لنفسه (الصدوق، ١٤١٧ش، ص ٢٥). ووصف أيضًا الإمام الصادقعليه السلام الذين يتختّمون باليد اليمنى بأنّهم يكونون في القيامة على مراكب من النور (النوري، ١٤٠٨ق، ج٣، ص ٢٨١). كما قال الإمام في الروايات المتعددة بأن النبيصلى الله عليه وآله وعلي والسجاد يتختّمون في يمينهم» (الكليني، ١٤٠٧ق، ج٦، صص ٤٦٩-٤٧٠). واعتبر الإمام الرضاعليه السلام ذلك من سيرة المعصومين وقال: «أن النبي وأميرالمومنين والائمةعليهم السلام كانوا يتختّمون في اليد اليمنى» (الحر العاملي، ١٤٠٩ق، ج٥، ص ٨٤). وذكر العسكريعليه السلام أنّ التختّم باليمين من علامات المؤمن (المفيد، ١٤١٣ق «ب»، ص ٥٣). أمّا عن الروايات التي تجيز ارتداء الخاتم في اليد اليسرى، فيمكن القول إنّها لا تتعارض مع استحباب التختّم في اليد اليمنى، بل تدلّ على جواز ه في كلتا اليدين. ثانياً، ربما كانت هذه الروايات من باب التقيّة، أو أنّها مُفبَركة لتبرير أعمال الغاصبين وحكّام الأمويين الذين بدّلوا الكثير من سنن النبيصلى الله عليه وآله وحرّفوها، إذ قيل إنّ أوّل من لبس الخاتم في اليد اليسرى هو معاوية بن أبي سفيان (الزمخشري، ١٤١٢ق، ج٤،

ص ٤٣٩)، وقد اتّخذه شعارًا وعمل خلافًا للسنّة (ابن أعثم الكوفي، ١٤١١ق، ج٤، ص ٢١٥).

ويمكن القول أيضاً إنّ ارتداء الخاتم في اليد اليسرى قد يكون للدلالة على الاهتمام بأمر هامّ آخر، كما نرى في حديث عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أمر فيه الشيعة بالتختّم في اليد اليسرى بوضع في عام ٢٦٠ وقال: «لغيبتنا عنكم إلى أن يظهرالله أمرنا وأمركم خانّه من أولّ الدليل عليكم في ولا يتنا» (ابن شعبة الحراني، ١٤٠٤ق، ص ٤٨٨). وذكر مصحّح هذا الكتاب أنّ سبب هذا القول للإمام هو أنّ عمرو بن العاص خدع في قضية التحكيم. نخلع أبا موسى الأشعري عليّا عليه السلام من الخلافة نخلعه خاتمه من يمينه كأنّه صار لبس الخاتم باليمين وإبقائه علامة على إبقاء الخلافة الحق في علي عليه السلام وأهل بيته. فلعلّه أراد: أنّ التختّم باليمين شاهد على الحق إذا كان الإمام بين الناس شاهدًا وحاضرًا وأمّا إذا كان غائبًا فليس شاهدًا بل ليخلعوا الخواتيم من أيمانهم ولبسوها في شمائلهم حتى لا يظن أنّ من ادّعى وأقام مقامه غصباً أنّه على الحق.

٣. نوع الخاتم وفصّه

٣-١. نوع الخاتم

ورد في المصادر والكتب المختلفة أنواع مختلفة من الخواتم للمعصومين، مثل الذهب والفضة والحديد، ومن الصعب علينا قبول بعض هذه الأنواع، مثل الذهب، بسبب حرمته على الرجال. وبالنظر إلى توصيتهم وتأكيدهم على الخواتم ذات نوع خاص كالفضّة، يبدو أنّ معظم خواتمهم كانت من هذا النوع، وإن كانوا قد استخدموا في بعض المواقف والظروف الخاصة خواتم من نوع آخر أو أكّدوا عليها. وعلى الرغم من أنّنا لم نجد في المصادر ما يشير إلى نوع خاتم الإمامين العسكريين عليهما السلام، إلّا أنّه يبدو أنّ خاتمهما كان من الفضّة، لأنّ الفضّة

كانت ذات أولويّة بالنسبة إلى بقيّة المعصومين. أمّا بالنسبة لحجر الخاتم وفصّه، فلا يمكننا الجزم بشيء فيه، لكن أحجار كالفيروزج والعقيق كانت أكثر استخداماً.

٣-٢. النقوش المحفورة على خاتم العسكريين عليهما السلام

لقد كان للنقش المحفور على الخاتم في الإسلام أهمية خاصة، حيث اعتبره الإمام الصادق عليه السلام أحد معايير قياس العقل وقال: «يُعْتَبَرُ عَقْلُ الرَّجُلِ فِي ثَلَاثٍ فِي طُولِ لِحْيَتِهِ وفِي نَقْشِ خَاتَمِهِ وفِي كُنْيَتِهِ» (الصدوق، ١٣٦٢ش، ج١، ص ١٠٣). في النصوص التاريخية والحديثية، ذُكرت نقوش متعدّدة على خاتم كل واحد من المعصومين، ويمكن اعتبار تنوع هذه النقوش نتيجة لتعدّد خواتمهم أو الظروف السياسية والاجتماعية في تلك الفترة بالطبع، كان بعض الأئمة المعصومين يتختّمون بخواتم آبائهم وأجدادهم، ممّا أدّى إلى ذكر نقش خاتم واحد لعدّة أئمة معصومين في بعض الحالات وبعض هذه النقوش كانت أكثر شهرة وتكراراً في المصادر من غيرها. وبالنسبة للإمامين العسكريين عليهما السلام، أيضاً ذُكرت نقوش مستوحاة من آيات القرآن، وأسماء الله وصفاته أو أسماء المعصومين أنفسهم والحمد والثناء لله.

٣-٢-١. الأسماء والصفات الإلهية

لكل اسم من أسماء الله فضائل وخصائص أشارت إليها المصادر (الكفعمي، ١٤٠٥ق، صص ٣٦٣-٣٦٧). وبناءً على هذا الاعتقاد، كان الكثير من العلماء والمعصومين يختارون لخواتمهم نقشاً يحمل اسماً أو صفة من أسماء الله وصفاته، سعياً للتقرّب إلى الله والحصول على فضائل وخصائص الأسماء والصفات الإلهية. وهذا يدلّ على إيمانهم بالله وتوكّلهم عليه وشدّة حبّهم له. على سبيل المثال، كان نقش خاتم الإمام الهادي عليه السلام «الله ربّي وهو عصمتي من خلقه»

(ابن صباغ، ١٤٢٢ق، ج٢، ص ١٠٦٥)، وهو مزيج من من الأسماء والصفات الإلهية.

٣-٢-٢. الثناء على الله

لقد خصّص الأئمة المعصومون عليهم السلام جزءاً كبيراً من سيرتهم بالدعاء والتحميد والتقديس لله عزّوجلّ وقد كانوا دائمًا على صلة وثيقة بها واعتادوا عليها وجعلوها جزءًا من حياتهم اليومية. وقد اقتدى بهم أتباعهم، واستخدموها في شتّى جوانب حياتهم، حتى أنّ حُلِيّهم لم تخلُ من هذه الأذكار والأوراد فَفُرت تلك الأذكار والأوراد على حُلّيهم، وخاصّة على خواتمهم. وقد زيّن الإمام العسكري عليه السلام خاتمه بعبارة «سبحان من له مقاليد السموات والأرض» (شوشتري، ١٤٠٩ق، ج٢٩، ص ٦٢)، ليكون ذلك شاهداً على تسبيحه لله تعالى.

٣-٢-٣. الآيات القرآنية

آيات القرآن الكريم، لطالما كانت جزءًا لا يتجزّأ من حياة المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم، بل وحتى من ظواهرهم وبواطنهم، حيث أنّ حُلّيهم قد اكتسبت صبغة قرآنية ومن أبرز الأمثلة على ذلك، نقش الآيات القرآنية على الخواتم كزينة فحفر الآيات الإلهية على الخواتم يُعدّ من أكثر النقوش شيوعًا وهي عادة خاصّة بالمجتمع الإسلامي وانتشرت بين المسلمين. وإذا ما تأمّلنا في النقوش المحفورة على الخواتم في تاريخ الإسلام، وجدنا أنّ جميع المعصومين كانوا ينقشون على خواتمهم آيات قرآنية أو ما يستوحى منها، وكان كثير من الصحابة والعلماء وحكام الدول الإسلامية يقتدون بهم فيختارون آية أو جزءًا من آية قرآنية لينقشوها على خواتمهم، وكانوا يزيّنون خواتمهم بها. وقد كان لهذا الفعل فضيلة عظيمة، لدرجة أنّ أحد الأئمة المعصومين قال: «من كان نقش خاتمه آية من

كتاب الله غفر الله له» (الطبرسي، ١٤١٢ق، ص ٩١). اختار الإمام الهادي عليه السلام عبارة «ما شاء الله لا قوة إلّا بالله» والتي هي جزء من الآية ٣٩ من سورة الكهف كنقش لخاتمه، وزيّن الإمام العسكري عليه السلام خاتمه بعبارة «الله وليّي» وهي مستوحاة من مفاهيم الآيتين ٢٥٨ من سورة البقرة و٦٨ من سورة آل عمران.

٣-٢-٤. أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام

أحد النقوش المذكورة للخاتم، هو أسماء المعصومين عليهم السلام والتي كانت تحمل أهمية ومكانة خاصة. وقد أهدى الإمام الحسن العسكري عليه السلام خاتمًا إلى إبراهيم بن مهزيار، وكان النقش المحفور على الخاتم إلى جانب اسم الله تعالى أسماء بعض المعصومين عليهم السلام. وقد عرض إبراهيم الخاتم على الإمام المهدي عليه السلام، وكان نقش الخاتم «يَا اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ» (الصدوق، ١٤١٢ق، ج٢، ص ٤٤٥).

٣-٢-٥. الكلمات الحكيمة والمواعظ الحسنة

في بعض الأحيان، يمكن لعبارة حكيمة واحدة أن تكون لها تأثير أكبر من الخطب والمواعظ الطويلة. هذه العبارات، رغم بساطتها، تحتوي على مضامين عميقة وجديرة بالتأمّل وقد تغيّر مسار حياة الإنسان، وتقوده إلى النجاح وحسن العاقبة. إنّ الكلمات الموزونة والحكيمة يمكن أن تقوّي الإيمان وتثبت العقائد كلام الأئمة المعصومين عليهم السلام وكبار العلماء في ديننا مليء بالمقولات العرفانية والحكيمة التي يمكن أن تكون مفتاحًا لحياتنا. أحد تطبيقات هذه الكلمات، التي لها تأثير كبير رغم قصرها، هو نقشها على الخاتم، وهناك العديد من الأمثلة التاريخية على ذلك. لقد كان هذا العمل مستخدمًا في سيرة الأنبياء والمعصومين، حيث كان نقش خاتم الإمام الهادي عليه السلام «من عصى هواه بلغ مناه» و«حفظ العهود من أخلاق المعبود» (الأمين العاملي، ١٤٠٣ق، ج٢، ص ٣٧).

٣-٣. وظائف نقش الخاتم في سيرة العسكريين عليهما السلام

٣-٣-١. الوظيفة السياسية

واحدة من الوظائف التي تُلاحظ لنقش الخاتم في المصادر هي وظيفته السياسية. يمكن أن تكون هذه الوظيفة مرتبطة بمكانة وشخصية صاحب الخاتم أو متأثّرة بالظروف والأوضاع السياسية في ذلك الوقت.

من أمثلة الوظيفة السياسية لنقش الخاتم يمكن الإشارة إلى ختم الرسائل الرسمية والأحكام الحكومية، والتي لم تكن خاصّة بالعصر الإسلامي فحسب، بل كانت شائعة قبل الإسلام في الإمبراطوريات الفارسية والرومانية. يُذكر أنّ خسرو برويز كان له تسعة خواتم بنقوش متعدّدة، كان يستخدم كل واحد منها بمناسبة معينة (گرديزي، ١٣٦٣ش، ص ٩٧). أو أنّ ابن الأثير يذكر أنّ جمشيد كان له عدّة خواتم، كان يستخدم كل واحد منها لموضوع معيّن، ولكل واحد نقش خاص يناسب ذلك الموضوع. مثلاً، كان خاتم الحرب منقوشًا عليه «الرفق والمداراة»، وخاتم الخراج منقوشًا عليه «العمارة والعدل»، وخاتم البريد منقوشًا عليه «الصدق والأمانة»، وخاتم المظالم منقوشًا عليه «السياسة والإنصاف» (ابن الأثير، ١٣٨٥ش، ج١، ص ٦٤). وكان أوّل خاتم يحمل وظيفة سياسية في الإسلام هو خاتم النبي صلى الله عليه وآله والذي بدأ استخدامه مع بداية الدولة الإسلامية ومراسلات النبي لملوك الدول الأخرى وختم الرسائل. ونظراً لأنّ الرسالة غير المختومة لم تكن تحمل أيّ قيمة أو اعتبار وفقًا لعادات وتقاليد وثقافة تلك الدول، فقد أمر النبي صلى الله عليه وآله بصنع خاتم نقش عليه «محمد رسول الله» (ابن سعد، ١٤١٨ق، ج١، ص ١٩٨). كان اختيار هذه العبارة لختم الرسائل من جانبه سديدًا وحكيمًا وتدبيرًا يليق بالسياسيين إذ أراد أن يقدّم نفسه كحاكم للدولة الإسلامية الجديدة، وأن يظهر قوته السياسية والاجتماعية للإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، وأن يوضح لهما

استقرار هذه الدولة وهيبة سلطانها، وليبيّن لهما أنّ دولة جديدة قد نشأت قادرة على التأثير على حضارة ذلك الزمان والتنافس معهما. ومنذ ذلك الوقت، كانت الرسائل والمعاهدات تُختم بخاتم النبيﷺ، ممّا أكسبها الطابع الرسمي.

وفي عصر الإمامين العسكريينعليهما السلام أيضًا، هناك شواهد على هذه الوظيفة للخاتم ونقشه في ختم الرسائل حيث كانا يختمان بعض رسائلهما بخاتمهما (النوري، ١٤١٥ق، ج١، ص ٥٥؛ الإربلي، ١٤٣٣ق، ج٢، ص ٩٠٢). وعلى الرغم من أنّ النقش على هذه الأختام لم يُذكر، إلّا أنّه من المؤكّد أنّهما كانا يستخدمان في ختم الرسائل أحد النقوش المذكورة في أختامهما.

٣-٣-٢. الوظيفة الاجتماعية

تعبّر العديد من الشعارات والأقوال عن الظروف الاجتماعية لكل عصر، ويمكنها بدورها أن تؤثّر على أوضاع ذلك المجتمع وتتجلّى إحدى هذه الشعارات في النقش المحفور على الخاتم ووفقًا للتقارير التاريخية، فإنّ العديد من هذه النقوش مستوحاة من الظروف الاجتماعية لتلك الفترة، حيث كانت تظهر في شكل دعاء أو شكوى أو أمنية فعلى سبيل المثال، وجدنا في المصادر نقشًا لخاتم يحكي عن غلاء سعر القمح، حيث كان الشخص يتمنّى في شكل دعاء انخفاض سعره بعبارة: «اللهم ارخص الحنطة» (الولي، ١٩٦٧م، ص٥٤). هذه الوظيفة الاجتماعية كانت موجودة أيضًا في عصر العسكريينعليهما السلام، ففي عصر الإمام الهاديعليه السلام، عندما فقدت العديد من القيم الإنسانية العالية قيمتها وانتشر الفسق والفجور والإسراف بين خلفاء العباسيين والعديد من أفراد المجتمع، كان نقش «من عصى هواه بلغ مناه» (الزرندي الحنفي، ١٤٢٥ق، ص ١٧٥) يعبّر عن أوضاع المجتمع آنذاك ويشير إلى أنّ الانغماس في الشهوات والهوى قاد المجتمع إلى هذه الحالة، وكان الإمام يعبّر عن موقفه تجاه ذلك ويوضح عواقب هذه الرذيلة الأخلاقية.

٣-٣-٣. الوظيفة الثقافية

إنّ العديد من الطرق والسلوكيات والأعراف والتقاليد والأزياء في أي مجتمع تعكس ثقافة شعب ذلك المجتمع، وبالمقابل، يمكن لهذه العناصر أن تؤثّر على ثقافة هذا المجتمع أيضًا. تُعدّ الحُلّي، وخاصة الخواتم المزيّنة بالنقوش، مؤشراً على المستوى الثقافي، ويمكن اعتبار النقوش المحفورة عليه كوظيفة ثقافية. ومن الأمثلة على ذلك، ما قام به الإمام الهادي عليه السلام من نشر ثقافة الوفاء بالعهد وتجذير هذه الفضيلة الإنسانية والأخلاقية في المجتمع، من خلال نقش العبارة الحكيمة «حفظ العهد من أخلاق المعبود» (الأمين العاملي، ١٤٠٣ق، ج٢، ص ٣٧) على خاتمه.

٣-٤. آثار وفوائد بعض النقوش الموصى بها

٣-٤-١. الإنجاب وكثرة المال والولد

ذكر عن بعض نقوش الخواتم أنّها تسبّب في كثرة المال والولد. ويروي علي بن محمد الحميري أنّه قال: ذهبت إلى الإمام الهادي عليه السلام وقلت: ليس لي ولد. فقال: اتّخذ خاتماً فصّه فيروزج واكتب عليه: ﴿...رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء، ٨٩) قال: ففعلت ذلك فما أتى عليّ حول حتى رزقت منها ولداً ذكراً. (الحر العاملي، ١٤٠٩ق، ج٥، ص ٩٥).

٤. توفير الأمان (من اللصوص، الجسد، الدين، الحيوانات المفترسة) والنصر في الحروب

٤-١. من اوصاف المطروحة لفص الخاتم

من وظائف الخاتم، لا سيما الذي يحمل فصًّا خاصًّا، أن يمنح صاحبه الأمان. وقد أمر الإمام الهادي عليه السلام أحد خدّامه المتوجه إلى طوس بأن يحمل خاتمًا فَصُّهُ عَقِيقٌ أَصْفَرُ عَلَيْهِ «مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» وعَلَى الْجَانِبِ الآخَرِ «مُحَمَّدٌ

وعَلِيٌّ» فَإِنَّهُ أَمَانٌ مِنَ الْقَطْعِ وأَتَمُّ لِلسَّلَامَةِ وأَصْوَنُ لِلدِينِ. (ابن طاووس، ١٤٠٩ق، ص ٤٨). قال الإمام الهادي عليه السلام في كلام آخر لأحد أصحابه الذي أراد السفر أن يحمل معه خاتمًا فصّه فيروزج ويكتب على أحد جانبَيه الْمُلْكُ لِلّهِ وعلى الجانب الآخر: الْمُلْكُ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ وهُوَ أَمَانٌ مِنَ السِّبَاعِ خَاصَّةً وظَفَرٌ فِي الْحُرُوبِ (ابن طاووس، ١٤٠٩ق، ص ٤٨).

٥. العلاقة بين شخصية الإمامين العسكريين عليهما السلام والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية لعصرهما، والنقوش المحفورة على فصّ خاتمهما

إنّ الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لكل فترة تعتبر عنصراً مهماً ومؤثّراً في سلوك وأداء أفراد المجتمع وتشكيل ثقافة ذلك المجتمع، وتستحقّ التحليل والدراسة. كان الأئمة الأطهار عليهم السلام مكلّفين بأداء الواجبات والمهامّ الإلهية وكان لديهم نهج موحّد، إلّا أنّ اختلاف عصر كل إمام عن الآخر أدّى إلى اختلاف في أسلوب عملهم. كانوا يستخدمون في سبيل ذلك كل وسيلة مشروعة لتحقيق أهدافهم، ولا يمكن تفسير الكثير من أقوالهم وسلوكهم وأدائهم إلّا في ظلّ الظروف السائدة في المجتمع، لأنّ الكثير منها لا يمكن تبريرها بالعقل ولا بالمبادئ الشرعية الثابتة. مثل الحالات التي كان فيها الأئمة عليهم السلام يأمرون أتباعهم بأوامر تخالف تعاليمهم السابقة حفاظاً على حياتهم. على سبيل المثال، أمر الإمام الكاظم عليه السلام علي بن يقطين بالدخول في جهاز الحكم الفاسد لتحقيق أهداف أهمّ، أو مثلما أمره بالوضوء على طريقة أهل السنة (ابن شهر آشوب، ١٣٧٩ق، ج٤، ص ٢٨٨).

إنّ الظروف السائدة في المجتمع كانت تؤثّر حتى في أصغر الأمور، بحيث أنّ نقش خاتم الأئمة المعصومين عليهم السلام كان متأثّراً بهذه الظروف وكان يتغيّر بتغيّر الأوضاع والظروف السائدة في المجتمع. بحيث أنّ هذه العبارات المحفورة على

خاتمهم كانت أحياناً تحمل طابعاً نقدياً وفي أحيان أخرى طابعاً تأييدياً، وفي بعض الأحيان كانت تعبّر عن شخصية المعصوم وتظهر صفة بارزة ومميّزة في وجوده. إنّ نسبة صفة خاصة أو لقب معين إلى بعض المعصومين عليهم السلام لا تعني انعدام صفات كالصدق والعبادة والزهد والهداية وغزارة العلم لدى بقية المعصومين عليهم السلام بل إنّ ظهور وتجلّي بعض الصفات في عصور وظروف معيّنة هو ما أدّى إلى ذلك. في تلك الفترات الزمنية الخاصة، كانت الظروف تتطلّب ظهور هذه الصفات البارزة. ولهذا السبب، كان لكل إمام صفات بارزة تميّزه، وأحيانًا كانت هذه الصفات تظهر في نقش خاتمهم. فيما يلي سيتمّ تقديم العلاقة بين شخصية العسكرين عليهما السلام والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية لعصرهم مع نقش خاتمهم.

٥-١. الإمام الهادي عليه السلام

الخلفاء العباسيون الذين كانوا دائماً يسعون إلى إيذاء أهل البيت والأئمة عليهم السلام لم يغفلوا عن هذا الأمر في عصر الإمام الهادي عليه السلام أيضاً. في فترة طفولة الإمام وبداية إمامته، كانوا يمنعون اتصاله بالشيعة من خلال تعيين أحد معاندي العلويين كمعلّم له (المسعودي، ١٤١٧ق، ص ٢٣٠). في عهد المتوكل، الذي كان أشدّ الخلفاء العباسيين ظلمًا للشيعة والعلويين ولم يتورع عن أي جريمة ضدهم، أمر باستدعاء الإمام إلى سامراء وحبسه ومراقبته، ثمّ أمر بقتله (الإربلي، ١٤٣٣ق، ج٢، ص ٩٠٢؛ البحراني، ١٤١٣ق، ج٧، ص ٤٨٨). إلّا أنّ محاولته باءت بالفشل بفضل الله تعالى. وهو كان دائماً يسعى للإساءة إلى الإمام، من حبسه في خان الصعاليك (المفيد، ١٤١٣ق، ج٢، ص ٣١١؛ ابن شهر آشوب، ١٣٧٩ق، ج٤، ص ٤١١) إلى تفتيش منزله واستدعائه إلى مجلس شرب الخمر (المسعودي، ١٤٠٩ق، ج٤، ص ١١). سعاية معاندي الإمام (المسعودي، ١٤١٧ق، ص ٢٣٣) كانت جزءاً آخر من الضغوط التي واجهها

الإمام، والتي كانت تُدفع بتدبير الإمام ومساعدة الله. كما أنّ الحركات والفرق المنحرفة التي كانت موجودة في ذلك الوقت زادت من المشاكل والصعوبات، حيث أدّت حركة خلق القرآن إلى فترة محنة القرآن (جعفريان، ١٣٨١ش، ص ٥٢٨)، وحركة الغلو التي كانت تسعى لتدمير الشيعة وتشويه سمعة الأئمةعليهم السلام (الكشي، ١٤٠٩ق، ج٢، صص ٥١٧-٥٣٠). وكان على الإمام أن يتصدّى لهذه التحديات بحكمة وإجراءات مناسبة للدفاع عن الشيعة والحفاظ على مقام الإمامة. وفي مواجهة كل هذه المشاكل والصعوبات، كان من الطبيعي أن يطلب الإمام العون من الله وحده، ويتوكّل عليه ويأمل فيه ويراه كافيًا لدفع كل هذه المصائب عنه وعن الشيعة ويسأل الله أن يبعد عنه شرّ الخلق وسوءهم. إنّ التعبير عن المفاهيم السامية التي وردت في زيارة الجامعة (الصدوق، ١٤١٣ق، ج٢، ص ٦٠٩) والغديرية (الكفعمي، ١٤٠٥ق، ص ٤٧٦) في وقت كان فيه البُغض والحقد يسودان بين الخلفاء تجاه الإمام علي وأولاده وكانت زيارة قبورهم محرّمًا وأقبارهم تخرّب، كان يشكّل للإمام مخاطر وتهديدات ولم يكن إلّا الله قادرًا علي دفعها عنه. ولذا تجلّى هذا الإيمان والاعتقاد في عبارة «الله ربي وهو عصمتي من خلقه» (ابن صباغ، ١٤٢٢ق، ج٢، ص ١٠٦٤) المنقوشة على خاتمه.

على الرغم من جميع الصعوبات والقيود التي فرضت على الإمام الهاديعليه السلام، والاستبداد والقمع الذي كان سائداً في عصره، إلّا أنّ الإمام استمرّ في أداء واجباته ونشاطاته الثقافية والسياسية والاجتماعية وكان على اتصال دائم بالشيعة بطرق شتّى، وخاصة عن طريق وكلائه، كان يتلقّى منهم الأموال الشرعية، ويجيب عن أسئلتهم وشبهاتهم، ويوجّههم بالتعليمات اللازمة، ويدير نظام الوكالة بكفاءة ويتّخذ التدابير اللازمة عن طريق الرسائل (الطبرسي، ١٤٠٣ق، ج٢، ص ٤٥٠). ومن بين أنشطته تربية تلاميذ كعبد العظيم الحسني، وأيوب بن نوح، والفضل بن شاذان (الطوسي، ١٣٧٣ش، صص ٣٨٣-٣٩٠)، الذين قدّموا جميعًا خدمات جليلة

للإسلام والشيعة. كان الإمام أيضاً يتصدّى لفقهاء البلاط ويبين الأحكام الفقهية الصحيحة في العديد من الحالات، ممّا حال دون انتشار فتاواهم الباطلة (الطبرسي، ١٤٠٣ق، ج٢، ص ٤٥٤؛ ابن الجوزي، ١٤١٨ق، ص ٣٢٣). وفي كل هذه الحالات، كانت تتهدّد الإمام مخاطر، ولكن بما أنّه لم يكن غافلاً عن قدرة الله، وكان يرى إرادة الله فوق كل إرادة، فقد أدّى واجباته والتجأ إلى الله في نتائج عمله.

ما كان لإنجازات الإمام في تلك الظروف العصيبة أن تتحقّق لولا الأمل في عون الله وقوته. استدعاء الإمام من قِبَل المتوكل إلى مجلس الخمر، وجرأة الإمام وشجاعته في إلقاء الشعر وتقديم النصائح لهم (المسعودي، ١٤٠٩ق، ج٤، ص ١١)، كان يمكن أن يكلّفه حياته، ولكن الله أراد شيئاً آخر. في موقف آخر، عندما استدعى المتوكل الإمام وأمر بقتله، إلّا أنّ القضية انقلبت، وكل من في المجلس خافوا من هيبته وجلالته ولم يجرؤوا على تنفيذ الأمر (الإربلي، ١٤٣٣ق، ج٢، ص ٩٠٣). كل هذا كان بأمر الله ومشيئته. الإمام كان يدرك هذا تماماً وعبّر عنه بعبارة «ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله» (الطبري، ١٤١٣ق، ص ٤١١) التي نقشها على خاتمه. كلمات الإمام مثل دعاء السيف، أو دعاء المظلوم على الظالم، مليئة بالمفاهيم التي تعبر عن قوة الله وإرادته، وتؤكّد على سلطته المطلقة، وعلى استقرار قضاء الله وقدره وأنّ مشيئته نافذة حتميّة. ويكرّر دائماً الحديث عن التوكّل على الله والأمل فيه واللجوء إليه (ابن طاووس، ١٤١١ق، ص ٢٦٧)

«قد وردت في مذمّة الهوى ونتائج اتّباعه، آيات وأحاديث كثيرة كالهبوط من مكانة الإنسان الرفيعة» (الأعراف، ١٧٦)، «وغاية الضلال والانحراف» (القصص، ٥٠)، «ومن جهة أخرى فإنّ جزاء الخوف من الله ومخالفة الهوى هي الجنة العليا» (النازعات، ٤١). فامتناع العبد عن اتّباع الهوى يجلب له الدرجات

العالية وينجيه من الضّلال. وقد بلغ الإمام الهاديعليه السلام، وهو مظهر الإنسان الكامل وصاحب العصمة، بمعصيته للهوى مقامًا عظيمًا عند الأصدقاء والأعداء، وأصبح محترمًا مكرمًا.

توجد موارد عديدة في هذا المجال منها: «كَتَبَ بُرَيْحَةُ الْعَبَّاسِيُّ صَاحِبُ الصَّلاَةِ بِالْحَرَمَيْنِ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ: إِنْ كَانَ لَكَ فِي الْحَرَمَيْنِ حَاجَةٌ فَأَخْرِجْ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ مِنْهُمَا فَإِنَّهُ قَدْ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ واتَّبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ». وأيضًا كلام والي البغداد وصيف التركي عندما هدّد هرثمة قائلًا: «و الله لئن سقط من الإمام الهاديعليه السلام شعرة لا يطالب بها سواك» (ابن الجوزي، ١٤١٨ق، ص ٣٢٢).

كل هذا يدلّ على إيمانهم بمكانة الإمام السامية، والتي نتجت عن تقوى الإمام وعدم طاعة هواه، ممّا أكسبه مكانة إنسانية سامية. تجسّدت هذه الصفة في الإمام في نقش خاتمه. بالطبع، يمكن أن يكون هذا موقفًا ضد الظروف الاجتماعية والثقافية التي كان الإمام فيها، لأنّ هذه الفترة من عصر العباسيين كانت ذروة اللهو والشهوات والإسراف والفساد لدى الخلفاء وحفلاتهم ومجالسهم، حيث بنوا لأنفسهم قصورًا متعددة (اليعقوبي، ١٤٢٢ق، ج٢، ص ٤٩١). وأقاموا احتفالات بتكاليف باهظة (قرشي، ١٣٧١ق، ص ٤٢٩). وكان لديهم جواري ومغنيات عددهن لا يُحصى، ويُنفقون الأموال الطائلة من بيت المال عليهن (الخوارزمي، ١٣٨٤ق، صص ٤٨١-٤٩٨). وكانوا يهينون أهل البيت في مجالسهم (ابن الأثير، ١٣٨٥ق، ج٧، ص ٥٦). وهذا هو ما أدّى إلى إذلالهم وهلاكهم، ومع سيطرة الأتراك، بدأت دولتهم في الانهيار وتذوّقوا الموت بأبشع شكل وبالذلّ والمهانة (اليعقوبي، ١٤٢٢ق، ج٢، ص ٤٩٢؛ ابن الأثير، ١٣٨٥ق، ج٧، ص ١٩٥). في مثل هذه الظروف، واجه الإمام أفعالهم بخاتمه «من عصى هواه بلغ مناه» (الأمين العاملي، ١٤٠٣ق، ج٢، ص ٣٧). وأعلن نتيجة أفعالهم. وأحد النقوش الأخرى التي ذُكرت

عن خاتم الإمام هو «حفظ العهود من أخلاق المعبود» (الأمين العاملي، ١٤٠٣ق، ج٢، ص ٣٧).

٥-٢. الإمام الحسن العسكري عليه السلام

كان الإمام الحادي عشر يعيش في ظروف قاسية، حيث كانت علاقته بالناس محدودة للغاية، لدرجة أنّ الناس كانوا يضطرون للوقوف في طريق ذهابه إلى دار الخلافة لمجرد رؤيته، ولم يكن هناك في كثير من الأحيان مجال للتحدّث معه (المسعودي، ١٤١٧ق، صص ٢٤٣، ٢٥٤). في هذا العصر، اشتدّت المراقبة والقيود المفروضة على الإمام، وكان يُلقى في السجن في بعض الأحيان (المفيد، ١٤١٣ق «ألف»، ج٢، ص ٣٢٩؛ ابن شهر آشوب، ١٣٧٩ق، ج٤، ص ٤٢٩). هذه القيود في التواصل مع الناس خلقت مشاكل لكلا الطرفين فقد اعتقد بعض الأفراد أنّ الإمام لا يعلم بأفعالهم ولا يراهم، ممّا دفعهم للقيام بأعمال لا يستحقّ أتباع أهل البيت عليهم السلام.

كان بعض الأفراد يصادرون الأموال التي تلقوها لصالحهم ويرفضون إعطاءها للإمام، ممّا دفع الإمام لمواجهتهم (الكشي، ١٤٠٩ق، ج٢، ص ٥٧٣). لذلك، نقش الإمام عبارة «إنّ الله شهيد» أو «إنّا لله شهيد» (الأمين عاملي، ١٤٠٣ق، ج٢، ص ٤٠). ليذكّر الناس بأنّ الله دائمًا شاهد وناظر لأعمالهم وسلوكياتهم، ولا يخفى عليه شيء، حتى وإن كان الإمام قد ابتعد ظاهراً عنهم ولم يشهد أعمالهم ومن ناحية أخرى، فإنّ الإمام نفسه كان يعلم بأفعالهم بفضل علمه الغيبي وأمره الإلهي.

من الصعوبات التي واجهها الإمام في هذه الفترة إعداد الناس لفترة مختلفة تنشأ بعد الإمام العسكري عليه السلام، حيث كان على الإمام أن ينقل ميراث الإمامة إلى عصر لا يكون فيه الإمام ظاهراً بين الناس، وكان يتوجب على الناس أن يقبلوا بإمامهم ويطيعوه دون أن يروه، وكانت هذه مسألة بالغة الأهمية، على

الرغم من أنّ بعض الخاصة كانوا على علم بالإمام الذي يلي بعد الإمام العسكري عليه السلام أو رأوه (الطوسي، ١٤١١ق، ص ٣٥٧)، إلّا أنّ عامّة الناس كانوا يجهلون هذه المسألة. وكان الإمام هنا يشهد الله على الناس ليذكّر الناس بأنّه على الرغم من أنّ الإمام ليس ظاهراً بينهم ولا يمكنهم رؤيته، إلّا أنّ الله والإمام دائمًا يشهدان على أعمالهم وسلوكهم.

من خلال دراسة فترة إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، نرى أنّه كان يكشف في مواطن متعددة عن أخبار الغيب، وكان جزء من هذا الأمر ناشئًا عن الظروف التي أحاطت بالإمام وأصحابه حيث كانت حياتهم في خطر أو كانت هناك شكوك حول إمامته (ابن شهر آشوب، ١٣٧٩ق، ج٤، ص ٤٤٠). ولحلّ هذه القضايا، لجأ الإمام إلى العلوم الغيبية، ومع ذلك، لم يغفل عن أنّ بعض الناس قد يستغلون هذه القدرة الإلهية عنده، فيسيئون إلى شخصيته ومكانته، ويضلّون عن الصراط المستقيم. لذا اختار الإمام نقش عبارة «سُبحانَ مَن لَهُ مَقاليدُ السَّماواتِ والأَرضِ» على خاتمه (ابن صباغ، ١٤٢٢ق، ج٢، ص ١٠٨١)، ليُبيّن للجميع أنّ العلوم الغيبية كلها بيد الله وحده، وأنّ الأئمة كذلك قد مُنحوا جزءًا من هذه العلوم يستمدون منها علمهم بإذن الله. من ناحية أخرى، فإنّ ظهور وغيبة الأئمة بيد الله وبحسب حكمته ومصلحته الإلهية. وهو الذي يقدر على إظهارهم وإخفائهم بقدرته العظيمة. وهو عليم بكل ما في السماوات والأرض وما خفي. وغياب الإمام المهدي هو من أسرار الخلق، حيث يمنحه الله تعالى من قدرته وعلمه الغيبي، ليكون شاهداً على أتباعه، وحافظاً لهم من شر أعدائهم، حتى لا يتمكّنوا من إطفاء نور الله الذي تجلّى فيه.

النتيجة

بناءً على ما تقدّم، فإنّ الخاتم له تاريخ عريق يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد

شهد تغييرات عديدة عبر الزمن، واستُخدم لأغراض متعددة.

وفي تاريخ الإسلام، استُخدم الخاتم في البداية لختم الرسائل، ثمّ تطوّر الأمر واكتسب بعدًا دينيًا واستحبابًا نابعًا من اتّباع السُنة النبوية الشريفة.

وبدراسة سيرة الإمامين العسكريين عليهما السلام، يتّضح أهمية الخاتم وقيمته لديهما، إذ كانا يحرصان على ارتدائه، ويشجّعان الآخرين على ذلك، ويقدّران فضائله. وتدلّ استعمالاته وتطبيقاته على مكانة هذه الزينة الإسلامية العالية لديهما.

وكانت نقوش خواتمهما مستوحاة من الآيات والأسماء الإلهية، وكانت تحفر عليها أحيانًا عبارات المدح والثناء لله -سبحانه وتعالى- والعبارات الحكيمة. وقد ذُكر لها آثار وفوائد وكانت هذه النقوش تحمل وظائف خاصة، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية. وكان الإمامان العسكريان عليهما السلام يختاران نقش خاتمهما بعناية فائقة، بما يتناسب مع الظروف والمواقف التي يمرّان بها، وأحياناً كان الانطباع مستوحى من صفة خاصة بهما، أو كان في تعارض مع الأفكار والآراء السائدة على سبيل الاعتراض والانتقاد. وقد حاولنا، بناءً على ظروف وشخصية كل منهما، تفسير هذه المسألة إلى حد ما.

وفي الواقع، كانا يستخدمان الخاتم لتحقيق أهدافهما ورفع مستوى الإسلام أيضًا، ويعبّران من خلاله عن رأيهما بشأن الظروف السائدة في المجتمع.

فهرس المصادر

* القرآن الكريم

١. ابن الأثير. أبوالحسن علي بن محمد. (١٣٨٥ق). الكامل في التاريخ (ج١ و٢، الطبعة الأولى). بيروت: دار صادر.

٢. ابن أعثم الكوفي. أحمد بن محمد. (١٤١١ق). الفتوح (ج٤، الطبعة الأولى، المحقق: علي شيري) بيروت: دارالأضواء.

٣. ابن سعد كاتب الواقدي. أبوعبد الله محمد بن سعد. (١٤١٨ق). الطبقات الكبرى (ج١ و٨، الطبعة الثانية). بيروت: دارالكتب العلمية.

٤. ابن شعبة الحراني. حسن بن علي. (١٤٠٤ق). تحف العقول عن آل الرسول (المصحّح: علي أكبر غفاري، الطبعة الثانية) قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين.

٥. ابن شهرآشوب المازندراني. محمد بن علي. (١٣٧٩ق). مناقب آل أبي‌طالب عليهم السلام (ج٤، المحقّق والمصحّح: محمدحسين آشتياني، هاشم رسولي، الطبعة الأولى). قم: علامه.

٦. ابن صباغ المالكي المكي. علي بن محمد بن أحمد. (١٤٢٢ق). الفصول المهمة في معرفة الأئمة عليهم السلام (ج٢، الطبعة الأولى). قم: مؤسسه علمي فرهنگي دار الحديث.

٧. ابن طاووس. السيد رضي الدين علي بن موسى. (١٤٠٩ق). الأمان من أخطار الأسفار والأزمان (الطبعة الأولى). قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٨. ابن طاووس. السيد رضي الدين علي بن موسى. (١٤١١ق). مهج الدعوات ومنهج العبادات (الطبعة الأولى). قم: دار الذخائر.

٩. ابن فارس. أحمد. (١٤٠٤ق). معجم مقاييس اللغة (ج٢، المصحح: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأولى). قم: مكتب الإعلام الإسلامي.
١٠. الإربلي. علي بن عيسى. (١٤٣٣ق) كشف الغمة في معرفة الأئمةعليهم‌السلام (ج٢، الطبعة الأولى) (المحقق: علي آل كوثر). بيروت: دار التعارف.
١١. الأمين العاملي. السيد محسن. (١٤٠٣ق). أعيان الشيعة (ج٢، الطبعة الأولى) بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
١٢. البحراني. السيد هاشم. (١٤١٣ق). مدينة معاجز الأئمة الإثنى عشرعليهم‌السلام ودلائل الحجج على البشر (ج٧،الطبعة الأولى). قم: مؤسسة المعارف الإسلامية.
١٣. جعفريان. رسول. (١٣٨١ش). حيات فكري وسياسي إمامان شيعهعليهم‌السلام (الطبعة السادسة). قم: مؤسسه أنصاريان.
١٤. الحرّ العاملي. محمد بن الحسن. (١٤٠٩ق). وسائل الشيعة (ج٥، الطبعة الأولى). قم: مؤسسة آل البيتعليهم‌السلام لإحياء التراث.
١٥. الحسيني الزبيدي. السيد مرتضى بن محمد. (١٤١٤ق). تاج العروس من جواهر القاموس (ج٩، الطبعة الأولى) بيروت: دار الفكر.
١٦. حميد الله. محمد (١٣٧٧ش). نامهها وپيمان نامههاي سياسي حضرت محمدصلى‌الله‌عليه‌وآله وإسناد صدر إسلام (المترجم: محمد حسيني، الطبعة الثانية). طهران: إنتشارات سروش.
١٧. الخوارزمي. محمد بن العباس. (١٣٨٤ش). رسائل الخوارزمي (المصحح: محمد مهدي پورگل، الطبعة الأولى). طهران: أنجمن آثار ومفاخر فرهنگي.
١٨. دهخدا. علي أكبر. (١٣٧٧ش). لغت نامه. (ج١، ٢، الطبعة الثانية) طهران: مؤسسه چاپ وإنتشارات دانشگاه تهران.

١٩. الزرندي الحنفي، جمال الدين محمد بن يوسف. (١٤٢٥ق). معارج الوصول إلى معرفة آل الرسول والبتول (الطبعة الأولى). طهران: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
٢٠. الزمخشري. أبو القاسم محمود بن عمر. (١٤١٢ق). ربيع الأبرار ونصوص الأخبار (الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢١. ابن الجوزي. سبط. (١٤١٨ق). تذكرة الخواص (الطبعة الأولى). قم: منشورات الشريف الرضي.
٢٢. سپهر. محمد تقي لسان الملك. (١٣٨٠ش). ناسخ التواريخ (ج٤، الطبعة الأولى). طهران: أساطير.
٢٣. قرشي. باقر شريف. (١٣٧١ش). تحليلي از زندگاني إمام هادى (المترجم: محمد رضا عطائي، الطبعة الأولى). مشهد: كنگره جهانى حضرت رضا عليه السلام.
٢٤. شوشتري. القاضي السيد نور الله بن شريف الدين. (١٤٠٩ق). إحقاق الحق وإزهاق الباطل (ج٢٩، الطبعة الأولى) (المحقق: شهاب الدين المرعشي). قم: مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي.
٢٥. الصدوق. أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي. (١٣٦٢ش) الخصال (ج١، المصحّح: علي أكبر غفاري، الطبعة الأولى). قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين.
٢٦. الصدوق. أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي. (١٤١٧ق). الأمالي (الطبعة الأولى) (المحقق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة). طهران: كتابچي.
٢٧. الصدوق. أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي. (١٤١٢ق). كمال الدين وتمام النعمة (ج١، ٢، المصحح: علي أكبر غفاري، الطبعة الثانية). طهران: انتشارات إسلاميه.

٢٨. الصدوق. أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي. (١٤١٣ق). من لايحضره الفقيه (ج١، ٢ و٣، الطبعة الثانية، المحقق: علي أكبر غفاري). قم: دفتر انتشارات إسلامي.
٢٩. الطبرسي. أبو منصور أحمد بن علي. (١٤٠٣ق). الاحتجاج على أهل اللجاج (ج٢، الطبعة الأولى). مشهد: نشر مرتضى.
٣٠. الطبرسي. حسن بن فضل. (١٤١٢ق). مكارم الأخلاق (الطبعة الرابعة). قم: دار الشريف الرضي.
٣١. الطبرسي. فضل بن حسن. (١٤١٧ق). إعلام الورى بأعلام الهدى (الطبعة الأولى). قم: مؤسسة آل البيت عليهم‌السلام لإحياء التراث.
٣٢. الطبري الصغير. محمد بن جرير. (١٤١٣ق). دلائل الإمامة (ج١، المحقق والمصحح: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى). قم: بعثت
٣٣. الطريحي. نخر الدين بن محمد. (١٣٧٥ش). مجمع البحرين (الطبعة الثالثة) (المحقق: أحمد الحسيني). طهران: المكتبة المرتضوية.
٣٤. الطوسي. محمد بن الحسن. (١٣٧٣ق). رجال الطوسي (الطبعة الثالثة، المحقق: جواد القيومي الإصفهاني) قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، مؤسسة النشر الإسلامي.
٣٥. الطوسي. محمد بن الحسن. (١٤١١ق). الغيبة. (الطبعة الأولى) قم: دار المعارف الإسلامية.
٣٦. قرشي بنابي. السيد علي أكبر. (١٣٧١ش). قاموس قرآن (ج٢، الطبعة السادسة). طهران: دار الكتب الإسلامية.
٣٧. القسطلاني. أحمد بن محمد. (١٤٢٥ق). المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (ج٢، الطبعة الثانية، المحقق: صالح أحمد الشامي) بيروت: المكتب الإسلامي.

٣٨. الكشي. محمد بن عمر. (١٤٠٩ق). اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي (ج٢، المحقق والمصحح: محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى). مشهد: مؤسسه نشر دانشگاه مشهد.

٣٩. الكفعمي. إبراهيم بن علي. (١٤٠٥ق). المصباح - جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية (الطبعة الثانية). قم: دار الشريف الرضي.

٤٠. الكليني. محمد بن يعقوب. (١٤٠٧ق) الكافي (ج٦، الطبعة الثانية). طهران: انتشارات إسلاميه.

٤١. گرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن ضحاك بن محمود. (١٣٦٣ش). زين الأخبار (الطبعة الأولى) (المحقق: عبد الحي حبيبي). طهران: دنياي كتاب.

٤٢. المسعودي. علي بن الحسين. (١٤٠٩ق). مروج الذهب ومعادن الجوهر (ج٤، الطبعة الثانية، المحقق: يوسف أسعد داغر). قم: مؤسسة دار الهجرة.

٤٣. المسعودي. علي بن الحسين. (١٤١٧ق). إثبات الوصية للإمام عليّ بن أبى طالب (الطبعة الأولى). قم: مؤسسه أنصاريان

٤٤. المفيد. محمد بن محمد. (١٤١٣ق «ألف»). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (ج٢، المصحح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى) قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

٤٥. المفيد. محمد بن محمد. (١٤١٣ق «ب»). كتاب المزار: مناسك المزار (الطبعة الأولى). قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

٤٦. موسوي سبزواري. السيد محمد مير لوحي. (١٤٢٦ق). كفاية المهتدي في معرفة المهدي عليه السلام (الطبعة الأولى). قم: دار التفسير.

٤٧. النباطي. علي بن يونس العاملي (١٣٨٤ق). الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (ج٣، الطبعة الأولى). النجف: المكتبة الحيدرية.

٤٨. النوري. حسين بن محمد تقي. (١٤١٥ق). النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب (ج١، الطبعة الأولى). قم: أنوار الهدى

٤٩. النوري. حسين بن محمد تقي. (١٤٠٨ق) مستدرك الوسائل (ج٣، الطبعة الأولى). بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٥٠. الواقدي، محمد بن عمر. (١٤٠٩ق). المغازي (ج٣، الطبعة الثالثة، المحقق: مارسدن جونس). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٥١. الولي. محمد طه. (١٩٦٧م). از انگشترى تا مهر. مجلة الدراسات الأدبية (في اللغة العربية والفارسية وتفاعلهما)، ٩(١، ٢)، صص ٣٥- ٥٩.

٥٢. اليعقوبي. أحمد بن إسحاق بن واضح. (١٤٢٢ق). تاريخ اليعقوبي (ج٢، الطبعة الأولى). بيروت: دار الكتب العلمية.